لو بقى من حياتي سنة واحدة فقط

تقوم الكثير من المؤسسات باعمال جرد بموجوداتها في أول كل عام. وهذا أيضاً وقتاً مناسباً جداً للقيام بجرد الموجودات الشخصي. لقد تم إعداد هذا الدرس ليجعل كل مستمع ينظر في حياته عن كثب.

تأليف: دفيد روبر

لقد انقضى عاماً آخر. لقد مضى اثني عشر شهراً آخرى، ولا يمكن عودتها مرة أخرى. لا تكون هناك فائدة من إعادة صفحات روزنامة {أو تقويم} عام ٢٠٠٢،[١] ولا يُنجز شيء بإدارة عقارب الساعة إلى الوراء. لقد مضى عام ٢٠٠٢ إلى الأبد ولا يمكن تغيير ذلك.

ولكن قد أعطانا الله الآن سنة جديدة – نضرة من مخزون الزمان. تحتوي على ٣٦٥ يوماً؛ ٨٧٦٠ ساعة؛ ٥٢٥,٦٠٠ دقيقة ذهبية. السؤال الذي يطرح الان هو: ماذا نفعل بهذه السنة؟ هذه السنة الميلادية الجارية (٢٠٠٣) هي للرب بمفهوم ما، وبمفهوم آخر هذه السنة هي لنا – لنستخدمها أو نبددها كما نشاء.

ولكي نستغل هذه السنة النفيسة، يجب أن نفكر في هذا الموضوع: «لو بقى من حياتي سنة واحدة فقط». ماذا يكون لو قال لك الطبيب: «نظم أمورك؛ لأنه قد بقت لحياتك سنة واحدة»؟ هذا ممكناً، وأنت تعلم. «لا تفتخر بالغد لأنك لا تعلم ماذا يلده يوم» (أمثال ٢٧: ١). «... لا تعرفون أمر الغد. لأنه ما هي حياتكم؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل» (يعقوب ٤: ١٤). المعرفة بانه قد بقى من حياتنا وقتاً قصيراً ألا تغير حياتنا؟

مواجهة الموت قد جعلت بعض الناس يتصرفون بجهالة. على سبيل المثال، عندما تم الحكم بالموت على قاتل مشهور، قالت الصحف بانه كان «جريء وقليل الكلام» حتى النهاية. مثال توضيحي آخر في ان الموت يمكن أن يجعل الناس يتصرفون بجهل هو «وينشستر هاوس Winchester House» (أي بيت وينشستر) بولاية كلفورنيا الأمريكية. لقد كلف ملايين الدولارات واستغرق تشييده ستة وثلاثين سنة. به مئات من الغرف التي بُني الكثير منها من اخشاب مستوردة ونادرة. لقد أتت هذه التحفة إلى الوجود لأن «عَرّافة» كانت قد قالت للسيدة سارة وينشستر بانها لن تموت طالما ان عملية مستمرة.

مواجهة حقيقة مع الموت تجعل الكثير منا يفكرون مليا في حياتهم وبجدية – ويقومون بإجراء التغييرات اللازمة. عندما مرض الملك حزقيا حتى أشرف على الموت، قال له إشعياء النبي: «نظم شؤون بيتك لأنك لن تبرأ بل حتماً تموت» (٢ ملوك ٢٠: ١). هذه نصيحة جيدة لكل فرد.

ماذا لو قيل لي: «بقى من حياتك سنة واحدة فقط»؟ بعد ما تأملتُ كثيراً في هذا السؤال وصلتُ إلى بعض الخُلاصة لتالية.

يعطيني هذا فهماً جديداً للقيم

ما يبدو ذو أهمية الآن سيصبح قليلة القيمة. كلمات الكاتب الموحى إليه ستضيف معنى جديدا: «... كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوتة وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١ يوحنا

[١] كلما تم استخدام هذا الدرس يجب الاستبدال بالعام المنصرم.

٢: ١٦ و١٧). بالنسبة لي سيمضي العالم في سنة واحدة. لهذا لا تعجبني جاذبية العالم بقدر ما عجبتني في الماضي. يكون اهتمامي الأساسي هو أن «اثبت إلى الأبد».

هذه الرؤية ستغير بلا شك وجهة نظري:

(١) لا أكون ضيق الصدر لأمور غير ذات أهمية. الأشياء البسيطة التي تثيرني ستبدو بلا أهمية. سأكون أكثر صبراً وفهماً ولطفاً وحباً. سأقوم بأعمال المحبة وأقول تعبيرات المحبة التي لم أعملها ولم أُعبِّر بها. لم يحركني شيء إن لم يكن كالكارثة.

(٢) سأستمتع بالحياة أكثر. يريد الله لنا أن نستمتع بالحياة. قال بولس: «أخيراً يا إخوتي افرحوا في الرب ...» (فيلبي ٣: ١). وكتب أيضاً: «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا!» (فيلبي ٤: ٤).

يوجد للكثير منا رب غير الرب الحقيقي. كان القصد من هذا العالم بكل ما فيه هو لخدمة الإنسان – ولكن قد صار كثيرون خداماً للعالم. قد ننشغل جداً باكتساب المعيشة بحيث لا يبقى لنا من الوقت لنتمتع بالحياة. أفرض انه مازال امامي لاعيش عدة سنوات ، من النادر أن أجد وقتاً للتمتع بالحياة؛ ولكن لو بقى من حياتي سنة واحدة، فاني سأجد وقتاً لذلك.

هذه الرؤية الجديدة لا تعطيني وجهة نظر جديدة في الحياة فحسب، بل تعطيني أيضاً فرصة لتقييم جديد لنفسي. لا يتمهل البعض منا لأننا نظن بان الحياة لا تستمر بدوننا. الآن عليّ مواجهة الحقيقة بانه بعد سنة ستستمر الحياة بدوني. إذن، لماذا أجهد نفسي بالقيام بما لا أهمية له نسبياً؟ أعتقد بانه لو بقى من حياتي سنة واحدة فقط، سأحاول الاستمتاع بالحياة أكثر.

(٣) ساستخدم ما تبقى لي من الوقت بحكمة. يقضي معظمنا الوقت كما لو نملك مخزوناً لا ينفد. نحن لا نقَدِّر ما أقيم الزمان. عبارة أمريكية قالها بن فرانكلين: «أتحب الحياة؟ إذاً لا تبدد الزمان؛ لأن الحياة مكونة منه». قال بولس: «أنظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» (أفسس ٥: ١٥ و١٦).

للكثيرين منا مشاريعا نريد تكميلها، ولكننا نقول لا وقت لنا لعمل ذلك. إذا تم معرفة الحقيقة نجد باننا قد ضيعنا الكثير من الوقت يكفي لتكميلها. لديّ الآن كتاب اكتبه منذ عدة سنوات ولكني لا أجد «ما يكفي من الوقت» لتكميله. لقد قرأتُ منذ عهد قريب عن إنسان كتب أكثر من عشرين كتاب دون أن يتعارض مع وقت عمله الرسمي، وذلك بان ينهض من النوم ساعة واحدة كل يوم قبل وقت استيقاظه المعتاد ويقضي تلك الساعة في الكتابة. ما أشرف المهام التي قد نحققها بالوقت الذي نضيعه! لو بقي من الحياة سنة واحدة، تكون كل دقيقة عطية ثمينة لإستخدامها تماماً.

دقيقتين أو ثلاث – ساعتين أو ثلاث ساعات؛
ماذا تعني في حياتنا هذه؟
لا تعني الكثير، إلا إذا أُعتبرت وقتاً،
لكن الدقائق ذهب والساعات أثمن.
لو استخدمناها من حين إلى آخر
لنجعل أحد ما سعيدا، لنجعل أحد
يبتسم؛
دقيقة واحدة قد تزيل الدموع عن خد ما،
وساعة واحدة قد تمحو قلق السنين.
دقائق من وقتي قد تنهي اليأس
في مكان ما، وتأتي إليَّ بصديق جديد

(٤) الشيء الأهم هو ان الأشياء الجديدة التي أُقيّمها الآن تساعدني لأضع الروحيات في المقام الأول. لقد قصد الله دائماً أن تكون لنا هذه الأولوية (متى ٦: ٣٣)، ولكن قد ترك معظم الناس خطط الله ومقاصده. بوضوح طبيعة المادة غير الفانية ستركز حياتي على الأشياء الباقية إلى الأبد. ستكون لنصوص مثل هذا معنى جديد بالنسبة لي: «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يُعطي الإنسان فداء عن نفسه؟» (متى ١٦: ٢٦).

لا شك أن الطريقة التي أرى بها الأشياء ستتغير لو بقى من حياتي سنة واحدة فقط.

سأبذل كل الجهد لتصحيح الماضي

مواجهة الموت قد تقودني إلى فحص النفس. لا أريد أن أقف أمام الله للحظة ويقول

لي: «هنا غلطتك». فكر في سؤال الله لآدم: «أين أنت؟» (تكوين ٣: ٩). قدّم مبشر ما موعظة من هذا النص مركزاً على ثلاث عبارات: (١) «كل شخص في مكان ما»، (٢) «يوجد كثير من الناس حيث لا ينبغي لهم أن يكونوا»، (٣) «الذين هم في أماكن لا ينبغي لهم أن يكونوا فيها سيكونون حيث لا يريدون أن يكونوا!» سيكون ذات أهمية لي أن أكون حيث ينبغي أن أكون روحياً.

لو بقى من حياتي سنة واحدة فقط لا أقدر خلق أعداء. سأحاول حل المشاكل الماضية مع معارفي. قال المسيح يسوع: «... أولاً اصطلح مع أخيك ...» (متى ٥: ٢٤). لا يمنعني الكبرياء أو الأنانية في ما بعد من قول «أنا آسف. أرجو أن تسامحني!» وأيضاً بالاشتياق إلى المغفرة من الرب لا أحسد {أو أحقد} على الآخرين (متى ٦: ١٤ و١٥).

ثم أريد اصلاح الماضي مع الله. لنواجه الحقيقة: كلنا قد أخفقنا في ما نعلم انه واجب علينا عمله. لقد سمعتُ عن كنيسة محلية تتم الكرازة فيها مرة واحدة في الشهر. وعندما سُئلوا عن السبب، قال أحد الأعضاء: «لا تكون هناك إستفادة منها؛ إذ نعرف الآن أكثر مما نعمل». استيعابهم لموضوع الوعظ غير صحيح (قد تكون إثارة الدوافع) ولكن كلامهم هذا يطبق علينا جميعنا. كلنا نعرف أكثر مما نعمل. ويسمي الكتاب المقدس هذا بالـ«خطية»: «فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له» (يعقوب ٤: ١٧).

سأقوم بمراجعة لنفسي وأرى أين أخطأتُ لكي أصحح ذلك، مهما بدت الخطية صغيرة في نظري أو في نظر الآخرين. بقعة صغيرة حمراء قد تكون إشارة على وجود مرض معدٍ. أرضة {نمل أبيض} صغيرة قد تهدم البيت. «جهالة قليلة» في حياة الإنسان مثل ذباب ميت في عطر (أنظر سفر الجامعة ١٠: ١): يمكن أن يبطل مهما فعل من الخير. تكون مهمتي أن أجد أين أخفقتُ(أكشف عن كل الخطايا «كبيرة» كانت أم «صغيرة») وذلك بمقارنة حياتي مع الأسفار المقدسة.

بعد ما أكتشف الخطية في حياتي وأعترف بها، أعرف ماذا أفعل بعد ذلك. يحتاج الإنسان غير المسيحي إلى التوبة عن خطاياه ويؤمن بيسوع انه الكفارة عن الخطايا، ويعتمد (بالتغطيس في الماء) لموته (أعمال ٢: ٣٦-٣٨؛ رومية ٦: ٣-٦). ولكن بما انني اصبحت مسيحياً فلي الان قانونا مختلفا لغفران خطاياي: إذا كانت خطاياي معروفة لله ولي أنا فقط، فسأحلها مع الله وحده. قال بطرس لمسيحي خاطيء «فتب من شرك هذا واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك» (أعمال ٨: ٢٢). إذا كان آخرون يعرفون عن خطيتي، سأُقدّر نفوذهم واطلب إليهم أن يصلوا من أجلي ويسَامحوني. قال يعقوب: «اعترفوا لبعضكم بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا ...» (يعقوب ٥: ١٦).

بعد ما اعتني بأمرِ الخطايا التي كنت أعلم بها، سأركع على ركبتيَ وأصلي من أجل الخطايا التي لم اكن أعلم عنها (كما فعل داود): «السهوات من يشعر بها؟ من الخطايا المستترة أبرئني» (مزمور ١٩: ١٢). ستكون صلواتي إلى الله ليساعدني في اكتشاف مثل هذه الأخطاء حتى استطيع تصحيحها.

لو بقى من حياتي سنة واحدة فقط، سأبذل كل الجهد لتصحيح ماضيٍ.

سأفعل ما بوسعي للتدبير بالمستقبل

بعد ذلك أسأل نفسي: «ما هي المسؤليات التي يجب تدبيرها قبل أن أغادر هذه الحياة؟» سأفكر أولاً بأسرتي؛ سأعمل على تأمين احوالهم المادية بقدر ما استطيع. «وإن كان أحد لا يعتني بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن» (١ تيموثاوس ٥: ٨). ولكني أهتم أولاً بحالتهم الروحية. قال الحكيم: «ربِّ الولد في طريقه فمتى شاخ أيضاً لا يحيد عنه» (أمثال ٢٢: ٦). سيحزن قلبي على كل ما أخفقت فيه من تربية {أولادي} في الماضي، وأحاول أصحح ذلك في هذه السنة.

سأسعى إلى العمل بإرشادات موسى

للوالدين، سأعلم طُرق الرب بعناية لأولادي حين أجلس، حين أمشي، حين أنام، وحين أقوم (تثنية ٦: ٧). في الوقت القصير المتبقي لي سيكون هدفي أن أعمل على ضمان إخلاصهم للمسيح في المستقبل. سأدرس {الكتاب المقدس} وأصلي مع أولادي وأتأكد بانهم موجودين عند دراسة الكتاب المقدس في الكنيسة أيام الأحاد؛ سأفعل ما بوسعي لأدربهم « في {طريقهم} ».

وإذا أمكن ساسعى أيضاً الى تدريبهم المستقبلي عن طريق المدارس المسيحية (إن وُجِدت). مدرسة مسيحية بمدرسين مسيحيين وأصحاب مسيحيين وبيئة مسيحية هي من أفضل الأماكن لهم للاستمرار بالتربية المسيحية.

ومن ثم عندما أفكر بمسؤولياتي، سأنظر إلى عمل الرب بصفة عامة. قد تطبق عليّ كلمات بولس التالية:

> ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي فماذا أختار لست أدري. فإني محصور من الاثنين. لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل أجداً. ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم (فيلبي ١: ٢٢-٢٤).

بعد تصحيحي للماضي ستكون الرحيل من مصلحتي - ولكن هذا ينهي عملي للرب. لا يستفيد دعوى المسيح من هذا. بان أذكر عمل الرب في وصيتي الأخيرة {بما يختص بالورثة التي أتركها} واساعد على استمراره.[٢]

من أفضل الطرق لكي أُدبّر لعمل الرب هي أن أعمل على خلاص النفوس الَتي تستمر بعمل الرب عوضاً عني. سأبذل كل الجهد لأقود نفساً إلى المسيح في ما تبقى لي من هذه السنة. لقد قال الله بان كلمته لا ترجع إليه فارغة (إشعياء ٥٥: ١١). وبان المعمودية هي نتيجة طبيعية للتلمذة (متى ٢٨: ١٩). وقد أظهر أيضاً بانه « يفتح أبواب » الفرص للذين يبحثون عنها (١ كورنثوس ١٦: ٩). أومن بانه من يريد أن يخلص نفساً في السنة، سيعطيه الله الفرصة.

هذا الجهد لخلاص نفس يكون العمل الأعظم من جانبي لمنفعة العالم. لقد قضى الكثير من الناس أيامهم الأخيرة يشيدون نُصب تذكارية حتى لا يتم نسيانهم. ما هي الأهرام المصرية غير قبور ملكية؟ نعرف اليوم الكثير عن الأهرام ولكن القليل عن هؤلاء الملوك. الأثار التذكارية الأرضية تفقد معناها. ولكن عندما نخلص نفساً، يبدأ بذلك أثر تذكاري لا نهاية له. تأثير نفوذ تلك النفس سيكون على الآخرين. سلسلة الفداء الخالدة ستستمر دوماً.

لو بقى من حياتي سنة واحدة فقط، سأُدبّر لدعوى الرب في المستقبل، وأُدبِّر لمستقبلي أنا أيضاً.

سأعمل على تطوير حياتي الروحية

بعد سنة فقط ستدخل نفسي إلى حضرة الله الذي هو روح (يوحنا ٤: ٢٤). في حضرته فقط تكون للروحيات حقيقة الواقع. ولكي أستعد لتلك المواجهة الإلهية لا بد أن أعمل على تطوير حياتي الروحية.

ستبقى لي طريقتين للنمو الروحي. الأولى عامية وذات صلة بحياة جسد المسيح، أي الكنيسة (أفسس ١: ٢٢ و٢٣). سأحاول حضور جميع خدمات العبادة بالكنيسة لأنه هكذا يريد الله لي أن أفعل (عبرانيين ١٠: ٢٥) وأيضاً لأن هذه الخدمات تقويني روحياً. سأقوم بدور فعال في عمل الكنيسة. سأحزن لأنني لم أُطور مواهب وقدرات لكي أفعل المزيد في الماضي. دون أن انتظر حتى يُطْلَب مني سأقدم خدمات تطوعية وأفعل كل ما بوسعي، راغباً في أن أسمع يسوع يقول: « حسناً فعلت أيها العبد الصالح والأمين! » (متى ٢٥: ٢١).

---

[٢] على سبيل المثال، يمكن للشخص أن يذكر في وصيته الأخيرة الكنيسة المحلية مع أعمال الخير الأخرى مثل الحقيقة لليوم مدرسة التبشير العالية.

بالإضافة إلى ذلك سأحاول أن أكون أكثر ثباتاً في مجهوداتي. أحياناً أميل إلى التقلب بين «حار» و«بارد» في خدمة الرب. نقرأ بان المسيحيين الأوائل «كانوا يواظبون» (أعمال ٢: ٤٢). قال بولس: «... كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين ...» (١ كورنثوس ١٥: ٥٨). يسوع نفسه قال بانه يكره الفُتور من جانب أتباعه (رؤيا ٣: ١٦). في هذه السنة التي تبقى لي، أريد أن أكون «حاراً» دائماً لأجل عمل الرب. كتب شخص ما ما يلي:

حياة واحدة فقط،
وستمضي سريعة؛
سيدوم فقط
ما تم عمله لأجل
المسيح.

الطريقة الثانية للتطور الروحي هي شخصية في طبيعتها. سأدرس الكتاب المقدس بمواظبة. ولا أُقدّم عذرا في الإخفاق في القيام بذلك، مثل «أنيَ متعب جداً»، أو «ليس لدي الوقت». أن كنتُصادق، يجب أن أعترف بانني الآن أقضي وقتاً أكثر في قراءة الصحف ومشاهدة التلفاز مما أقضيه مع كلمة الله. إذ تفقد الأشياء المؤقتة جاذبيتها فيكون من الطبيعي أن أتحول إلى الكتاب المقدس الذي يتحدث عن الأشياء الأبدية.«اجتهد» في دروسي لكي أتزكى لله «عاملاً لا يخزى مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة» (٢ تيموثاوس ٢: ١٥). يقول الكتاب المقدس بان الإيمان يأتي بالكلمة (رومية ١٠: ١٧). عندما نمى إيماني وربحتُسلام وأمن جديدين، أحزن ان جدول برامجي لم يشمل من قبل على دراسة الكتاب المقدس بالمواظبة.

وأخيراً أريد أن أتصل باستمرار مع الله بما انني سأراه قريباً وجهاً لوجه. يقول لي بولس كيف «أصلي» بلا انقطاع (١ تسالونيكي ٥: ١٧). ربما أهملت في الماضي أن أشكر الله من أجل بركاته لي وأن أطلب من الله الحكمة في صنع القرارات وأن أتضرع إليه من أجل المغفرة. في ما تبقى من وقتي المحدود أقضي منه ساعات أتحدث إليه. ربما أرهقتني الصلاة لمدة دقيقتين في الزمان الماضي، وأما الآن فعقلي مليء بحيث لا تكفيني ساعة واحدة لأعبر عن كل أفكاري.

نعم، لو تبقى من حياتي سنة واحدة فقط لكنت أحاول تطوير حياتي الروحية إلى التمام لكي أكون مستعد لذلك المكان الذي تم إعداده (يوحنا ١٤: ٣) والذي يسمى بالسماء.

الخلاصة

هذه نتائج قليلة توصلتُإليها عندما فكرتُ في السؤال: «ماذا لو بقى من عمري سنة واحدة فقط؟» التفكير بهذا السؤال بحرص سيغير حياة الشخص.

ينبغي أن نعيش في كل سنة وفي كل شهر وفي كل أسبوع أو في كل يوم كما لو كان الأخير بالنسبة لنا على الأرض. ينبغي أن نكون مستعدين دائماً للموت؛ لأنه إن لم نكن مستعدين للموت، فلسنا مستعدين للحياة.

ماذا لو تبقى من حياتك سنة واحدة فقط؟ هل تكون مستعداً؟ هل اعتمدت لمغفرة الخطايا (أعمال ٢: ٣٨)؟ وإن كنت مسيحياً فهل أنت أميناً (رؤيا ٢: ١٠)؟ إن كنت تريد أن تخضع للرب أفعل هكذا الآن!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧